أندلسيّة العينين

الطبعة الأولى – عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

Elnokhbapublish.com

1441 هـ – 2020 م

رقم الإيداع: ** / 2020

الترقيم الدولي: ** – ** – 838 – 977 – 978

الكتاب: أندلسيّة العينين

المؤلف: محجوب حامد آدم

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

النخبة للنشر والطباعة والتوزيع

6 شارع رجاء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل

أمام سور نادى الزمالك– الجيزة – مصر – 01288688875

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

طبع في مصر

أندلسيّة العينين

ديوان

محجوب حامد آدم

النخبة
للنشر والطباعة والتوزيع
2020

شكر وتقدير

كُتب السواد الأعظم من قصائد هذه المجموعة الشّعرية منذُ عقدين ونيف من الزّمان، وكان من الممكن أن تصدر في العام 2002 بالقاهرة بعد ان أجازها المجلس الأعلي للثّقافة، لكن ضلت طريقها الي بيوت النشر وهذه حكاية طويلة .

من حينها ظلّت المخطوطة حبيسة خزانة كُتبي في إنتظار فُرصة أُخري لتري النور .

وها قد قدّر لها بعد كل تلك السنوات أن تطل من القاهرة ايضا بفضل الجهود المقّدرة التي سعي إليها بهمة وحُب صادق الأخ الروائي/ هاشم محمود حسن داعما وساندا لتخرُج في هيئتها الأنيقة التي أمامكم . لذا أجد نفسي عاجزاً عن عبارات الشكر والامتنان لهذا الرجُل الهميم في مساعيه الجادة تجاه الأدب، وله مني كامل الشُّكر والتّقدير . كما احب أيضاً أن اشكر الأستاذة والأديبة/ مني محمد صالح التي تكرّمت بمراجعة المجموعة والوقوف علي متابعتها بدقّة وحرص شديدين .. والشكر أيضاً للفنّان الجميل/ حسين جبيل الذي صمم الإطار للمجموعة بهذه الروعة والجمال .

في الختام أرجو أن يجد القارئ الكريم ما يصبو إليه وسط تجربتي الأُولي مع القصائد ودروبها العصّية في محاولة الوصول إليه بعد كل هذا العناء الطويل.

مودتي وتقديري

محجوب حامد

إهداء

إلي تلك العيون التي كنت استمد من ضوئها نبراس أسفاري .

محجوب

ما بين جانحي كل رجل وامرأة،

قليل من الرمل، وقليل من الزبد

فبعضنا يبين ما بين جانحيه،

وبعضنا يخجل

أما أنا.. فلم أخجل،

فأعذروني..

وسامحوني.

جبران خليل جبران

دفء التلاقى

وآتيك يا وطني
هادراً كالنهرِ
غافلاً كالفجرِ
عابثاً بالرملِ
آتيكَ وفى عيني زرقة البحر
دفء التلاقى والحنين
آتيكَ أيها الوطن..
المرسوم فى حنايای،
المنخور فى خلايای
آتيكَ ..
عفواً
سهواً
حبواً

تحركني الشجون

خطوط الأطالس

وحروف الانتماء

أحبكَ يا وطني

عابدا، متهجدا متوسلاً..

نيل المنى

زاداً تقاسم ظل المسافة والطريق!

وبحراً يُقبّل غيمة..

قبل الهطول

أحبكَ يا وطني..

لكن، يفضحني هذا البحر..

أمواجه تفسر عشقي،

أصدافه الزرق تحيرني،

وتحيلني الى البحر ساجداً

يحلو العناق فى (أمباسيرا)

تتجلى الأماسي فى ربوع (القاش)

تتماسك الأغنيات في (بركة)

يتمازج إيقاعها

يعلو.. ويعلو النشيد في (نقفه)

عشقت التَّلِّ يا وطني

أزهار السفوح

عصافير السهول

ترانيم الدجى

خشوع التصوف

وعبق البخور!.

***

إستنطقيني

حين أسمو إليكِ،

وأشدو بكِ،

حين تتبعثر فيّ القصيدة..

وأضيع بين قوافيها،

ألوّح يديّ إلي السماء،

أناجي الكواكب

والضباب المخملي

أبحث عنكِ

أتغني بكِ

لتستنطقي كل حروف الوجد.

حدثيني، و أجِّجِي فيّ ..

هذا الشوقُ المسافر في السواحل

وبين آثار القوافل

فأنا..

أشتاقُ هذا الصوت

أشتاقُ هذا اللحن

فأعزفي وتراً

يحوي شجوني وإحتناني

ضيعيّني حيث شئتِ

أغرسيني زهرة على خديكِ

أنثريني رملاً بين نهديكِ،

إبتاعي من عمري..

غصون الشوق

وألوان المغيب،

إستنطقي كل حروف الليل والنجوم،

وأنصبيني علي ظلال الفجر..

نهراً

جسراً

وساقية

وأبذري حبات الندى..

على هذا الصباح

ليستكين على ضَّوْءِ جبينكِ

***

توسد النمارق القديمة

تلفَّتوا..

أنا خلفكم

أركض خلف الغيم

خلف البرق

والأمنيات المستحيلة،

متوسداً حلمي

وبعض قصاصات الطفولة،

مستكيناً لهذا البحر..

وأمواج التلاطم فيه

فارداً جناح التلاقي

شارداً في تفاصيلك..

من يفتح لي نافذة صغيرة؟

من يلفني بعباءةٍ بالية؟

أشم فيها رائحة أمّيْ

كوخ جدتي،

مواء قطتنا الصغيرة؟

ها أنا اليوم طفل شاخ عمري..

وقلبي لا يزال صغيراً

تزورني الأحاجي..

رائحة التَنُّور

شوارد الذكرى

والأغنيات القديمة

هاهي دارنا الصغيرة،

ها هي الأمنيات المبعثرة

وها هو شاحب وجه أمّيْ..

على عتبة الدار تنتظرني

إني أشم رائحة القهوة الصباحيّة..

أحس صراخ إخوتي حولي..

وغناء جارتنا،

والرعاة الراحلون،

يمرون صباحاً.. صباحاً

تاركين رائحة البهائم

وأنغام الحنين!

أبي..

أشتاقُكَ كلما جاء المساء

ترن ضحكتكَ

تشطرني لنصفين،

نَصَفٌ ضاحك

و نَصَفٌ باكٍ

ويأتي صوتكَ الممزوج بالقرآن

كلما حلّ السحر

والليل البهيم يرحل بي نحوكَ،

ثم ينطوي على تِيهٍ..

تسافر أحداقي

تتلظَّى في الطرقاتِ

والمسافاتِ الطويلة!

مالِحٌ طعم الذكريات في فمي

تافهةٌ كل الأشياء دونكم..

لا شيء هنا يغري،

لا شوق يلوّح إذ تشتهيه،

محطم قلبي يجول على اللا شيء

وأنا أخسف كل ليلة..

كقمرٍ تعيس،

أتوسد آلامي وأحزاني..

وأرنو إلى زمنٍ بعيد

(أروما)

يا مهد صباي

يا ليلكِ الفضي

أنا الطفل المأخوذ..

بالبادوب

و(الدوبيت)

و(البيبوب)

أنا يوسف الضائع في غيابة الجُبُّ

فهل تعيديني إليكِ؟

أنا نصف أحلامي هناك

نصف الذكريات

الأمنيات

الأغنيات

هاهو طمي (القاش)

يملأ خياشيمي

هاهي الأشياء أرسمها

أَحَطُّ رحالي بين الدلتا والدلتا..

أتكوَّم قرب الترعة الأولي

(ترتارتي) إنجرفت نحو السيل،

ومصيدة الطير تخمش عصفوراً صغير

أغني من فرحي،

تغني حولي الأشجار..

والحشائش الصغيرة

ها أنا اليوم أكبر..

ولم يصغر الشوق في ذاتي

أغني من فرحي..

بلغةٍ أخري،

وقاموس جديد

أردّدُ..

لعلكم هناك..

فروحي هناك،

ونصفي هناك،

أتلعثمُ حيناً ..

وأغني ب (البداويت)

التي لا تَنفُكُّ عني

***

أكواخ السفوح

خذيني بيديكِ
وأختاري لي بيتاً
على خارطة هذا الصباح الجميل
هجَّريني ..
أو هجَّنيني باللازورد
المناسب بين راحتيّ يديكِ
خيّريني إن شئتِ،
فأنا ..
أختار هذا الجّيد مرفأ
أنظميني عقداً من اللؤلؤ
فأنا..
أحبُّ أن أتدَلَّى على هذا السفح
وأنقش بيتاً جميلاً بين نهديكِ
أسورةً، ورداً

حقولاً

جدا ولاً

وأبراجاً من التقديس

وغزلان ترعى على هذا التَّلُّ

المبعثر فيّ من الأعشاب

الأخشاب،

وأكواخ الأبنوس

هل أفيقُ إذا أطلت عيناي على القمر؟

أو أبصرني قرص الشمس مختبئاً

بين الندى والسحر؟

أنا لا أفيقُ،

لن أفيقُ

إلاَّ..

إذا تنهَّدَ التلُّ بركاناً

وتفجَّر

بعثر قريتي

أحجاري

قطيعي

وتبعثر

فأنا..

أحتاج موتي هنا

أختار قبري هنا

أختار بعثي هنا

أحتاج تنهيدة ثانية

وشمساً ثانية

كي أفيق، وألعن هذا الصباح

وأبيع خيوط شموسه

والمصلين على نعشي

وأسقط..

بين تنهيدتي الثانية

وشمسي الثانية

***

أغنية للقيا

لماذا أراكِ مباهجي

وملامحي التي لم تكتمل؟

وبيني و بينكِ

سهل وسد ووَادٍ

ونهر يفصل بيننا

فيه أشواقي ماجتْ

هاجتْ

وفَاضَتْ

رسمت خصركِ قارباً سار نحوي

ثم تحطم في الضفافِ التي لا تنتهي

لماذا أراكِ مباهجي

رغم تعاسة الأيام

والأشجان

وأنغام المطر؟

تجرجرني خطاي،

تسافر مع السحب..

ترتاح في محطات الشوق..

والتعثر والبكاء

أواه..

كم أتعبني السفر،

كم عذبني هذا الوتر!

أواه.. لوتدرين وعورة الطريق!

والمسافات الممتدة شوقاً،

الأغاني

والأماني..

وكل نبضاتِ الوريد

أنا ..

يعذبني حنيني إليك

والموانى

والصواري

التى لا تُطِلّ عليكِ،

الشوق فاق ضلوعي وهمومي

كالني شوقاً بشَوقٍ وفاض،

إنساب على القصائدِ و الجداولِ

الأزهارِ البنفسج..

لاح في الأفقِ..

غطي أرجاء دروبي

والطرق التي تأبى أن نسير

فأنا ..

لست محارباً الزمن،

لست معانداً القدر..

لست مسافراً كأوتار أحبتي

أشتاق لحن أغنية،

إيقاعها المطر

أحتاج سواحل عينيكِ..

لأنصب غيمة في رملها وأنتظر..

أحتاجكِ أنتِ.. مدينة!

أضيع بين زحامها وأنتحر

أحتاج الأصداف،

و الأحجار،

والأوراق التي بها تعبثين..

ولكل المفردات التي بها تترنمين

أحتاج للشفق المغني للحزن دوماً

ريثما ترجعين

***

نخب الشمعة الأولي

صحا الكون على نجم
يصارع العتمة
يرنو إلي البحر في شَدْو جميل
وأفاق الحلم على وطنٍ
يخطو.. ويخطو
نحو لحن النشيد
غائر الجرح،
يبتسم رغم النزيف
شهيداً
شهيداً
شهيداً
تَجَلّت ملامح اللوحة الكبيرة
عقداً منظوماً على جيد..

الرابيات والرايات

إرتريا حُرَّة،

يرتد صدى وطني..

نخرجه بخناجرنا شرفاً..

وننثره على الطرقاتِ

درراً وياسميناً

ومن سبتمبر تعلو قوافينا

أيا أيها الناس،

أتدرون سبتمبر؟

رمز ميلاد البطولة

والشهقة الأولى لنضالنا الأزلي

سبتمبر..

صرخة دوت في (آدال)

عَمَّت كل البوادي

النوادي

والمدن الجريحة

سبتمبر ..

الرحم الذى حبل (الثلاثين)

أنجب طفلاً إسمه مايو..

طفلاً ليس ككل الأطفال

باسم الوجه

يركض خلف الغيم نشوان

هيا ..

نرضعه ثدي (امباسيرا)

(لالمبا)

و(دندن)

ونروي جوفه من ينابيع ..

(القاش)

(بركة)

و(سمهر)

وأشرعة الأحمر تهفو للقياهِ

لتُقبّل خده الأيمن

هيا نعدو خلفه

تمهل أيها الصبح

لندخل في جوانحك،

ونخطو معاً خطوة الإيقاع

ونرسم على ظلال عينيك

شمعتنا الأولى..

وفي خديك قُبُلات أمّيْ،

وخارطة ترتاح على البحر..

إنَّا نسير خطى نحو البوابة الكبري

لاح الصبح يا وطني..

هيا..

نشد الجسر بالنصر نغني

نغني ..

للوطن الذى من أجله

جَفَّتِ حناجرنا

تشتَّتَ قوافلنا في بوصلة السراب

تهتَّكت أوصالنا عبثاً

وضاع صدى الأغنيات،

في أزيز الطائرات

وتباعدت أنسابنا،

من البحر..

وفي البحر

ولا مغيث

وإنتشرنا علي المخيمات

والقرى الممسوحة بالحزنِ

واللافتات المؤقتة

وطوابير الإعانات

اليوم يا وطني ..

ضمِّد هذي الجراح،

وإرفع الرآية خَفَّاقةً.. خَفَّاقةً

ممزوجة بزغاريد الأمهات

وأسكب الكأس مسحوراً من نشوتي

نخب الشمعة الأولى..

نخب البحر والعودة،

نخب الشهد مسكوباً

على ربوةٍ حُرَّة

نخب الحب منقوشاً..

على قبر شهيد يصدح:

إرتريا حُرَّة

***

دون جدوى

لكِ أرسم فرحي وحزني
وأغور في أسبار صمتي
هذه لغتي إليكِ
صوتي العالي يناقض صمتي
من أين أبدأ لوحتي ؟
ومن أين يجيء الكلام ؟
ومن أين ينشق هذا الجدار؟!
والمطر المباغت يغسل بعض حزني
هذا زمن الفداحة،
والرداءة،
والإنحسار،
شغف يجيء على شغفٍ
حزَنٌ يحاصر أروقتي

وحمامة جزلى على حطام الحكاية!

هذا المساء ..

شاحب مثل الفضاء،

ماطر على غير عادته..

يمزج الأحزان والأفراح في قوس قزح

متكأ على حطامي!..

شاخ صمتي والأنتظار

مرة أخرى أَنْتِ أمامي..

مرة أخرى أستشف منكِ جمالي،

مرة أخرى أحاول أن أرمِّمُ داخلي،

وأستعيد بعض الذكريات..

مرة أخرى تستدرجين عواطفي..

ترحلين بي من غيمةٍ إلي أخرى،

ومن زهرة بنفسجية،

إلي أخرى فوشية

ها أنت تتسللين إليّ خلسةٍ

بـأوراق مزورةٍ

ومفرداتٍ لا أعرفها

ومديّةٍ موزعة في التفاصيل

ها أنت إذا تحاولين ذبحي مرة أخري

وتحاسبينني على ذنوب لم أقترفها

ووصية خُنْتِها قبلي

وجدول وُدٌّ نضب بقاء الله..

وتقتلين فيّ كل إمرأة عرفتها بعدك

وتغارين كثيراً.. كثيراً

لأني أجيد عشق النساء

أعترف أني أحبكِ رغم الحصار

ولكِ أكتب أروع قصائدي

ولعينيكِ ألهث عامداً،

حين تغرقني زحمة الدنيا..

وهجير العاطفة الموحش

ومن صوتكِ ألتحف مرحي

ومن هذا الجبين يخرج مدار .. ثم مدار

ولغمازتيكِ هاتين تمطر هذه السماء،

والأرض تشرب ماءها..

وتنبت أشجارا

لأنك أنت عمدتها

فبورك كل الثمار

***

سفر الموج في الذاكرة

سألتُ البحر:
وفتشتُ في أمواجه رموش
تناثرت بين الأصداف
ودموع في أعماق اليَمِّ تبددت..
أريجاً، مسكاً..
وأشلاء قلب ضاعت شراينه بين المرافيء
الشاطيء الحزين
المراكب والربان
أشتات من الماضي
أشجان وأحزان
وأغنيتي متعبة،
ممزقة الأوتار
أسافر في ذاكرتي..
وخطاي مثقلة حنيناً وإنتظار

أضيع فيها..

أبحث عن نغم قديم،

عن قمر لَوَّحَ لي ثم إنزوى،

عن وَتَرٍ يقيني ..

رمل البحر

موج الموج

والمراكب الصدئة

وحنيني منشورا في المدى

منثوراً في الثرى

وفي القلب نبض توقف يستجير

عد لي، بمنابعي

وحقولي

وجسوري

فقد ملني الإنتظار

وظلال الشواطيء

***

حلم طفولي

حين أعدو في الباحة
كوني صغير
لا يعرف ..
الإصباح
والإشراق
ولون المغيب
آه .. صغير ..
لكن، إذا ما الليل طال
لا أبحث عن صبح
ولا شمس
ولا عن نجم يهديني السبيل
هائم أنا
ولكن ..
أعلم من وجنتيكِ لون الشفق

ومن عينيكِ لون الصباح الجميل

تعالي ..

ننشر الربع زهوراً

نهر يغني بالخرير

ونرسم على الطرقاتِ

تمثالاً صغيراً للحب

نخطو ثم نعدو

نعانق أرقى ساحاتنا

وننثر على الأفق

أغنية بريئة

ونرتاح على قُبلةٍ

قبل قيظ الشمس

ونسخر من شمسنا

حين يشتد الهجير

***

شهيق الذاكرة

تعلن الشارة كل الحضور
توشك اللحظة بالتوغل،
في ألفاظي
أنفاسي
وأغواري
تستبين بعض رؤآها وتستقر..
في الغرفةِ المهجورةِ
والزمن المغطى بالغبشِ
والعمر المبعثر بالوعودِ
وإطلالة حلم جميل مُستَتِرٌ
في ضمير غامض الرمز
عَصِيّ الطلاسم والمحن
ونجم تمرغ في السّديم

يخفى ملامحه عني وعنك

وترحل لتأتي

لتسكن في مسام العمر

وتأبى أن تغادر

ولكن بيني وبينكِ ..

مسافات من البعد

أراض شاسعة أجدبت حبيباتها

مطارات أقلعت قبل الرواح

وأغلقت أبوابها

وأمطار غادرت قبل إنتهاء الخريف

ولم تعد

وليكن بيني وبينكِ ..

المواقيت القديمة

وفوانيس نضب الزيت فيها،

قبل إكتمال القصيدة!

إني أسافر في ذاتي

اجترَّ بقاياى

وبقاياكِ

ألَمِّلمُ ما تبقى من الجرح

أنفض عنه غبار الوهن

وأحميه من هجير الشوق

بأغنية بيني وبينك

في مساء تكسر في مساءاتي

محا سوالف الأيام

باعد بيني وبينك في الطرقات

وأنشد الشفق ما لديه

من كلمات قاسية

تعني الوداع

لم تقلها

ولكن قالت:

نواقيس المدينة،

وصفقت كل الحوار..

إلاَّ حانة ضمتني

ورشتني بالخمر المباح

ووشوشت فيّ:

أما زلت متكئ على بساط الرمل،

تلعق ما تبقى من بقايا الكأس أغنية؟

أما زلت ترقص على أوتار مدينتي

وهي منسية!

أما زلت تذكرني؟

وتذكر أمسيات البحر..

والموج المسافر في الرباب؟

والأصداف..

والسمك الملون كالمساء؟

والسفن المحطمة في المرافيء؟

تأكد أنكَ الأول..

أنضر الأشجار في حقلي..

أول الأطياف في قلبي،

وأول الأوتار

وآخر العمر!

***

التوقيع الأخير

في سباتي العميق،
تخرج كعصفور ملون
تدنو من شفتيّ
تهبط على إحداهما وتغني لليل،
والأزهار النائمة،
وفحيح الزمهرير
كن كالقمر المطلة من النافذة..
فالليل تقتله الأغنيات الموحشة
والذكريات المحرقة!
وإن شئت .. لا تكن!
من دلك على الشارع المفضي إلي بيتي؟
من قال :
أني ألوك بريقكَ في منامي؟
وأضع في شرفتي،

مقعدين وزهرتين،

وزجاجة عطر؟!

من قال:

أني أتوشحك ليلاً

وأفتح بابي زاوية حادة..

للهواء

وللنجوم

وللقمر

أجئت توقظ فيّ ..

رقصات المساء

بذاك النسيم

وذاك الهيام؟

ويداكَ لا تزال في جيبي،

وشفتاكَ تهمس في شفتي..

بالحب

والأشعار

إني أضيع في همس،

والنافورة الفوشي..

لا يزال نداها في خاطري

وخدك المأخوذ بالسحر والبرتقال

وعطركَ العابق في مسامي

دعيني..

أنا السراب..

خريف بلا أمطار،

كالنار أنا، سيدتي

دعيني أنام ملء جفوني..

فإني رسمتك ليلاً طويلاً

وزينت عمري بك عاماً إثر عام

وجعلتكِ واحة آوى إليها..

صباح، مساء

وكتبتكِ ألف قصيدة

ووزعتُ أزهاركِ..

على الأطفال

والبيوت المُقدَّسَة،

وجعلتكِ صرحاً على أبوابِ مدينتي

وتميمة تزين صدري،

ونثرتكِ على أبواب الرجاء،

و بعتُ أجمل الأشياء..

ولم يبق من العمر..

إلّا قليلاً..

والأيام تبعثر ذكرياتكِ غافلة

بلا زاد..

ولا أشواق..

والقلب علَّق رآية النسيان!

***

أندلسيّة العينين

هل للعشق سياج، وقواعد
وقانون؟
وللتسكع علي أرصفتةِ
شارات مرور؟
إني عشقت من غير قانون،
ومن غير ترخيص مرور..
عشقتكِ أيتها المدلّلة
يا وردة الياسمين
أنتِ تسكنين قصائدي وفؤادي
تسترخي على بساط أحلامي
وتجري في دمي وشرياني،
التل من قصيدة..
والحقل فيكِ،
ومن فيكِ يرتشف..

حلاوة الفرح

وأبتهالات الصباح

تسامرين بواديكِ

تعانقين (لالبا)

ترتمين علي أحضانه

بين تغريد العصافير

ورقصات الغدير،

والثوب الحريري ينساب منكِ كجَدولٍ

عند أطراف السرير

يحاورك الليل عن ..

أنسام الصباح

والسحر المُخبأ فيكِ

يغالبكِ النعاس

تشتهين (الدعاش)

وقوس قزح

فتفوح من بين أهدابكِ،

رائحة الأشجار والأثمار

ومن خصركِ المفتون،

عشرون موشحة

عشرون (ولاّدة)

وحكاية عشق

ولحن أصيل

سميتك قرطبة يا أندلسية العينين

يا ورديّة الخدين،

وحين يأتي الخريف..

ويرسم علي جبينكِ الوَضَّاحُ

زهرة نديّة من ماء السماء

من لون البنفسج..

وضحكات القمر،

وعطر ملائكي من مسامكِ فاح،

يفيق الصباح من نشوته،

يُردِّد مع ..

الخمائل والجداول

الحمائم والنسائم

وأوراق الليمون:

صباح الخير (كرن)

(يا زهرة المدائن)

يا وردة الياسمين

***

(سربيب) .. ولحن الأغنية

شيء ينازع داخلي،

ولحظة أخرى..

أحتار ماذا أسميها!

كما الطفل أعدو،

أعشق الأشياء

ولا أدري..

ولا تدري، بعض..

خطاي إلي أين؟!

هذا الصباح يزحف نحو خارطتي

وأنا غارق فيه

لا الموج..

ولا الضفة الأخرى،

تعلم أنني غارق!

هكذا هي أشيائي..

والعشق يأتيني من القاع دوماً

حكاية مبعثرة

وأغنية بلحن (سربيب)

ثم يلفظني عند الظهيرة

آه.. من هذه الظهيرة

والحكايات القديمة

والهجير

كنت وحيداً،

اجترَّ بقايا (سربيب)

ولحن الأغنية

أحكي للأرصفة

أشكو للنجم البعيد ..

عناد القمر

سطوع البروق

هطول المطر

كنت وحيدا، ولم أبح بالسر لأحد

واليوم تفضحني عيناها

أينما خبأتها

تشع من عينيّ عيناها

ولحن الأغنية

يفضحني هذا الشعور المتبرج

هذا اللحن الصاخب بتفاصيل السفر

تفضحني أشياء .. وأشياء

الأرصفة باحت بسري

النجم البعيد تسلل بهو القمر

ولما طلع القمر

شعت من ضوءه وتناثرت في هذا الزمن

ولما خسف القمر ..

كانت في كل الأمكنة قمر

والشمس تشرق من عينيها

والحقول تعرف ضوءها

والمسافات

اللقاح

والفصول

أسألو حقول مدينتي :

لماذا أوراقها بنفسج ..؟

أو أسألو الشمس لماذا تحاول الكسوف،

ولماذا تريد أن تنتحر ..؟

اليوم يفضحني،

هذا الطقس المبعثر داخلي

وهذي الخواطر ترحل عني،

وبعض خطاي..

نحو ضفاف (القاش)

في بدايات الخريف

في نهايات السحر

تحمل وقع الشوق

عبق الورد

أناشيدي العتيقة

ورائحة الوطن.

اليوم العطر فواح

يعطر كل السهول

واللحن بإيقاع وأوتار الوصول

إذن ..

(سربيب) قادمة

أجل قادمة،

أيقنت ذلك حين ردد الأطفال لحن الأغنية

***

الإحتفاء بعودة (أولغا)

تلفن الشوق صباحاً..

ورفرف القلب ملتاعاً،

وجاء الصوت الذى غاب،

وأقبل العمر الذى راح

فيا قلبى..

ماذا تخبئ من الاشجان،

والأشواق،

والعذابات اللا تنتهى؟!

فهل تعيدنى طفلاً،

يركض خلف الغيم نشوانا ؟

وتمسح مرآتى التى صدأت

بويْلِ الحب والأزرق؟

إني أُحب نوفمبر

فهو يحمل في أحضانه (أولغا)

ويحكي أجمل قصّة حب في مدينتنا

ويرسم أروع الذكرى

وينشر مأساتى وآهاتى وأزهارى التي ذبلت

إني أحبُّ نوفمبر..

فهو يعيد القصة ذاتها،

بطريقة أروع..

ويحمل ألواني التى ضاعت

وعطري الذى فُقد

فهل يعوضني عمرا أضعته غدرا؟

وهل ينسينى مرارة العلقم؟

(أولغا) .....

ماذا خلف عينيك،

وماذا خلف صباحك الباكر ..؟

وما سر الصفحة التى قطعت،

وما سر بريقك الباهى ..؟

خلف أسلاك الهاتف ألحظه،

حتى البحة في الصوت

والغنج الكلامى

والاه تلو و الاه ما فتأت،

فتأخذني

لتلك المرة الأولى

و الغيمة الشتائية

والقهوة المسائية

ودفئك الذى لا ينضب

(أولغا) . . .

أصحيح ما قاله الهاتف ..؟

أصحيح ما زلت فى القلب،

وفى حناياه أسكن كما كنت،

وأغرد فى خمائله كما شئت ..؟

و هل لا زلت تتحسسين همساتي

وتصغين لكلماتي ونبراتي وأنا أهتف ..؟

سأعيد اليوم أوتارى وأزهارى

وأرتب الاشياء كى تليق بك

وأشرب نخبنا الآتى

وأرمم القلب من الاحزان

والآهات

وأعيدك بنفسجة أخرى

تقاوم كل نوفمبر

ولا تزبل .

***

آهات من فبراير إلى فبراير

أشتاقكِ يا (بيلول)

وأَحِنُّ ياعمري

لأيام لا تزال ترقص بالحب ..

في زمني

وفي ومضي

وكل محطاتي

أتدري بعدكِ ..

الدار إرتحلت قوافله

تغيرت ملامحه

والجدارن صار يزحف

نحو سريري ونحوي

يكبلني كزنزانة قاتل

يغير طعم المواويل

لشيء يشبه النواح

أشعر الآن بالإختناق

أشعر أنّي الان أحترق

و تخرج الحكايات ..

مرهقة

مكرهة

تتطاير محروقة

إلا القصاصات الصغيرة

التى تحمل توقيعك

ودفء أناملك الرقيقة

وبعض ما قاله : شعرك سرا

وما إفتضحته عيناك وهي تنوء بي

حتي وجنتيك لم تختبأ

ولم تخف عني القصائد

وقالت : أشياء تبعثر كل ما أخفي

وتسلب مني زمانا خبأته ..

حريصا بوعدي لعينيك

حريصا لحبي أن لا يتجاوز

أسوار القبيلة

والعشيرة الحمقى

(ولحرصي عليك)

كنت أدوس شعوري

وأجوس ليلاً ل (بيلول)

لتحملني على ضفافِ من عطر فيها

وشفة تعرف ..

متى تستنطق الأحجار

وترقص في مساحاتي عارية

وتدخل سرا في مساماتي

وتجعلني نبيذا للعشاق قبل أن يفيق الصباح

أتذكري (بيلول)!

أمطار من وقعي..

ووقعك في الطرقاتِ

إنّي أحلم بالحب ثانية

بطريقة أخري

وأمطار شتائية

على شواطيء بحرنا الأحمر

وتعبرين بي من (مصوع)

إلى (دهلك)

إلى خيمة عربية

ليس بها إلّا أنا وأنت

ولحن البحر والمطر

ألم تقولي ..

أنني قارب وأنت رباني

وبحري

وموجي

وليلي

ونهاري

أنّي أذكر كل ذاك يا (بيلول)

وأذكر عينيك بغيمها

ورعودها

وبروقها

وهطولها على خدي

ولم أزل أحتفظ بكل الحروف التى نمت

على صدري

وساما وذكري

وصوتك المشروخ بالغربة يعذبني

يضيف إليّ أصنافا من الأرق

تطاردني صباحات

هدها الترحال في ليلي

صباحات بغير الشمس

كون يبحر في الظلمات

وأشياء تعج بالفوضى

تعالي ..

ذلك الظل مرسوما على عمري

أقتاته باسما لوجهك الوضاح في وطني

يشع لي من أي ركن

أهوى أن أراك

في مساري

في أزقتي

وحيرتي

وفي أعماق أعماقي

تعالي ..

أعيدُ ترتيب ألواني

وأرسمُ لوحة أخرى

تشبه أياماً قضيناها

على العشب

والامطار و الأزهار

ونفيق من عمر مضى!

***

ثلاث بطاقات لعينيها

١

عند لحظة الشك الأخير،
يتقاطر بعض الأمل..
وفي حالَةِ الهروبِ..
إلى الهروبِ
يتَكَسَّرَ لون المطر
فينمحي حرفكِ الأول
وتغدو السماء دخان،
ويعلو عويل الأماكن،
يداري رجائي بعيداً..
يفتح نصف النافذة
فتدخل روحي إليّ، إليكِ
وتعلن حالة إحتواء الأماني .

٢

لدروبي آثار القوافل

ولحني فريد..

فريد،

يجيء صباحاً

يُدوزن إيقاع..

نبضات قلبي

وبعض الرجاء الأخير

لعينيكِ..

وهي تحتوي..

مسائي المنتظر،

وأغنياتي البعيدة!

لكُلّ المقاعد وهي تسافر بنا

لعالمكِ الجميل

٣

لا قوت أمامكِ

لا وقت،

لا أمنيات،

لا نشيد يعيدكِ للروابي..

ولا أغنية وداع

أمامكِ ..

شيء ثقيل يسمى الفراق

لحن حزين يسمى الرحيل

أمامكِ بعض الرجاء

وشيء كبير يسمى الأمل

***

إشتياق

وطن، في عينيكِ ألوذ به..

يأخذني بريق الدفء

في ساعة ودٍّ

يمتد إلى الليل

وجعي على الكون..

وشعارات أخرى تدفعني

فكيف أفسر حالة عشقي؟!

أنا من ضاق به السير..

أنا من عرف الشوق،

وتجرَّعَ مرارته كأساً.. كأسا

حتى الصبح

أنا أفتش عنكِ

لهفي يسبق لهفي،

مطر في عيني،

وبرْقٌ يسطع من طرفي..

فأين أخبّئُ شوقي

وأين أدسَّ حنيني

وكيف أكذب قلبي؟!!

***

تساؤلات

ماذا..

لو رسمتُ حرفكِ

كالضياءِ على أُفُقِ المدينة؟

وزيّنته بالسحب والأمطار

ولوَّنته بالبنفسج

والأغنياتِ العتيقة؟

ماذا..

لو حرَّضَني قلبي على

البوح علناً..

للأرصفةِ والفراشاتِ الحائمة حولي

والعصافير

وأطفال القبيلة؟

ماذا..

لو أعلنتُ شوقي على

الكتيبات الصغيرة والكبيرة

وكتبتُكِ على كل القَصائدِ..

نبضي،

و شرياني؟

ودثرتُكِ بالقوافي

حتى لا تشعري ببرد الكلماتِ

وتنامي بين ضلوعي

سنيناً طويلا!

ماذا..

لو غنيتُ لصفاءِ عينيكِ

كبحيرتين تسامران الربيع

الأيقاع:

صخب الدهشة والمساء

اللحن:

هديل الحمام،

خرير المياه،

صهيل الأماني،

رجوع البحر في ذاكرتي..

وبعض من مستحيل

***

أنْتِ العِطْرُ في العَامِ الجَدِيد

يَأْتي صَوْتُكِ غَافِلاً
كالظِّل يزْحَفُ نَحْوَ هَجِيري وصَمْتي
خَافِتاً يَسْري فِي الأَوْصَالِ
يَنْشُرُ الضَّوْءَ فِي الشّرايينِ
يَعْبقُ عِطْراً أنيقاً في ذاتي يَبُوحُ بسِرٍّ جديد
في يومٍ جديد
وعامٍ جديد .

صدى الأغاني
نشْوة الصَّباحِ الآتي
ترانيم اللحْظة الآن
دعواتُ البُسَطاء
ضَحْكاتُ الأطْفال

لَفحُ الزَّمْهَرير
وضَجِيجُ الليْل .

يأْتِي صَوْتُكِ غافِلاً فيَّ
يُصيغُني شكْلاً جَدِيداً
وعَاماً جَدِيداً
أيَأْتِي العامُ وأنا بَعِيد .. بعيد ؟
أرسُمُ الأَكْواخَ الجَميلة
وأسْمَعُ لَحْناً فَرِيداً .

صَوْتُكِ الآنَ ..
تَرْنيمَةُ العام الجديد
أرْحَب مِنْ كلِّ الأَماني
أعْذَبُ مِنْ كلِّ الأَغَاني
صوْتُكِ الآن ..
قَصيْدةً تَنْسابُ نحْوَ الصَّباح الجَميل

الكلامُ في عَيْنيْكِ كالأساطِيرِ القَديمة
أرْوعُ من (فِينُوس)
(عَشْتار)
(ميدوزا)
مُسَطّرٌ كوِسَامِ فارِسٍ
مُطَرّزٌ بالأضْواءِ كقَمَرِ
في ليْلة عُرْسِهِ

أيَأْتي العامُ الجَديد
شَوْقاً آخرا
في أرْصِفَةٍ غاوية
وأناسٌ لا يعْرِفُونَ مَعْنَى إنْشِغَالي
وَخَوْفي عَليْكِ
صَباحُ الخَيْرِ
يا أجْملَ وردةَ فُلٍّ وياسَمين
صباحُ العيدِ

وصَوْتُكِ المُنْساقُ إلى هُنا
يُمَوِّجُ لوْنَ السِّحْر
يُهَدْهِدُني كطفْلٍ حَزين
أَحِنُّ إلى نَبَراتِهِ
وجَلْجَلاتِ الضَّحْكةِ المفْقُودةُ في صَمْتي هُنا .

أيَأْتي العِيدُ وأَنا بَعيد
اجْترُّ حِكاياتي القَديمة
أمامَ طاوِلةٍ تُغَافِلَني
تُعاتِبَني
اضيعُ بين دَفاتِري
وأكْتُبكِ عاماً جَديدا
أَلَيْسَ العَامَ في عيْنَيْكِ كلّ
صباحٍ جديد ..؟

مَنْ يُخَبِّىء سِرّي
وعَيْني تَبوحُ
قَلْبي يَبُوحُ
ووَقْعُ خُطايَ تَقولُ :
كَلاماً رَهِيْباً
مَنْ يُخبِّىءُ سِرّي
وأنا أبْصُرُ في المِرآةِ وجْهي
فيطِّلُ وجْهُكِ
بِكَوْنٍ جَديدٍ
وعامٍ جديدٍ
مَنْ يُخَبِّىء سِرّي
إذْ تَسألُني الغُيومُ عنْكِ
فَأُجِيبُ بهَمْسٍ
وصوْتٍ رَخيمٍ
أُحِبُكِ أنْتِ

فَتنْثُر النُّجوم على الأرضِ حُبّي
يا وَيْحي ...
تَجَمْهَر النَّاسُ حَوْلي
شاهَدوا هُطُولي وَسِرِّي
وسَرَقُوا أزْهاري وعِطْري .

من يُغَير طَعْم أُمْسيَتي
وأنا اضيعُ في مدينةٍ
تبَرَّجَتْ اليَوْمَ كأُنْثَى
تُحاوِرُني
تُغازِلُني
تُعانِقُني امام تِمْثالٍ (ناتالي)
وشَجَرَةَ عيدِ الميلادِ
وأجْراس المعابِد يفْصُل الليْل
بِيوْمٍ جَديدٍ

وعامٍ جَديدٍ
فيَأْتي صَوْتُكِ مِنْ بين الفَضاء
ومِنْ بينِ الغُيوم
يأتي خافِتاً
يتَغلْغَلُ في الأَعْماقِ
يَهُزُّني
يُبَعْثِرُ مَدينةً في داخِلي
ويرْحَلُ بي إلى أَمَاسِي القَلْبِ
وأَشْجانِ الزَّمنِ البَعيد
فَيُطِلُّ الصَّباحُ
وانْتِ الصَّباحُ
والعِطْرُ في العَامِ الجَدِيد .

***

حَكايات الغَسَق المَطِير

سَأحكي لَكِ ..
عَنْ سُهَادي ، رَجَائي
اللّيَالي الطَّويلَة
رَمْلُ الطُفولَة
عن القَمَرِ المَشْروخ في ذَاكِرتي
وانْزِوائِهِ خَلْفَ النَّافِذةِ
مَبْحُوحُ الصَّوْتِ يَبْكي

سَأحْكي ..
عَنْ وِحْدَتي
المَطَر العَنيف
خَوْفي
جُنُوني

شُجُوني
اغْنياتي الحَزينة .

سَأحْكي ..
عَنْ غُرْفَتي الضَّيِّقة
ساعةُ حائطي المُعَطلة
اوْراقي المُبَعْثَرة
اشْواقي المُوَزَّعة في الزَّوَايا
والكَـلام الَّذي يَسكُنُ في المَآقي
وأنا اُبَحْلق في السَّقْف
ابْحَثُ عَنْكِ
غارِقاً في بَحْرِ عَيْنَيْكِ
تفاصيلُكِ المُبْهِرة
مَناخاتُك الغَريْبة
ماذا اصَاب فَضائي
ورَجاء اللّيَالي المَطيرة ..؟

سأحْكي ..
عنْ المَنافي البَعِيدة
المَوانيء ، الغُرَباء
الشَّوارِعُ الّتي لا تَشْبَهني
وحِكاياتُ السَّراب القَديم .

سَأحْكي ..
عَنْ بِلادي
ورُجُوعي إليْها في شِتاءٍ جَميْلٍ
عَنْ فَرَحي وأنا أُغَنّي للسّهُول
البَراري على ضِفافِ (بَرْكة)
للقِبابِ ، الأضْرِحَة
والهِضابُ المُسْتَكينة للضَّباب
للبَحْر الأحْمَر المَمْهور بِدِماء الشُّهَداء
وخَيْبَتي تُحاصِرُ كُلّ الشّواطِيء

كشَوْقي إليه أُعانِقُ فِيكِ المَساء
أُعانِقُ فِيك الكِبْرياء
أُعانِقُ فيْك الإنْتِمَاء
فضُمِّيني إليْكِ
وارحَلي بي ..
مِنْ ضِفَّةٍ إلى أُخْرَى
مِنْ رَبْوَةٍ إلى أُخْرى
ومِنْ مَطَرٍ إلى مطَرْ
حتّى أُشاهِد نفْسي نَبْتاً علَيْكِ .

***

فهرس

شكر وتقدير 5

الإهداء 7

دفء التلاقى 9

إستنطقيني 12

توسد النمارق القديمة 15

أكواخ السفوح 22

أغنية للقيا 25

نخب الشمعة الأولي 29

دون جدوى 35

سفر الموج في الذاكرة 39

حلم طفولي 41

شهيق الذاكرة 43

التوقيع الأخير 48

أندلسيّة العينين 52

(سربيب) .. ولحن الأغنية 56

الإحتفاء بعودة (أولغا) 61
آهات من فبراير إلى فبراير 65
ثلاث بطاقات لعينيها 71
إشتياق 74
تساؤلات 76
أنْتِ العِطْرُ في العَـامِ الجَدَيد 79
حَكايات الغَسَق المَطِير 86